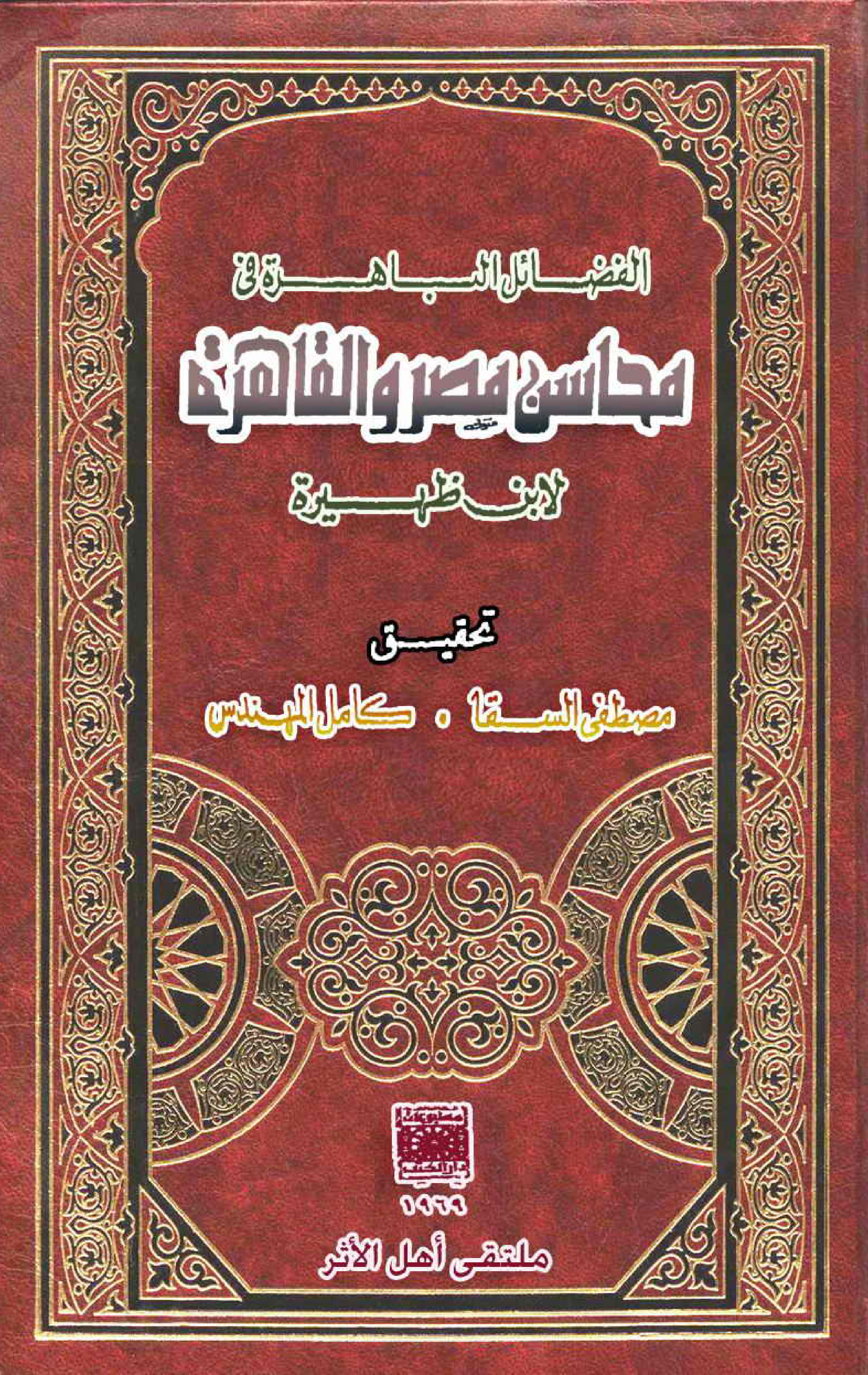

الفضائل الباهرة في
محاسن مصر والقاهرة
لابن ظهيرة
تحقيق
مصطفى السقا • كامل المهندس
١٩٦٩
ملتقى أهل الأثر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعـــد :

فقد قرر " مركز تحقيق التراث القومى ونشره " ، بمناسبة " ألفية القاهرة " ، نشر طائفة من أمهات الكتب الخاصة بتاريخ القاهرة وخططها ، فكان مما كلفنا به تحقيق كتاب « الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة » لابن ظهيرة .

وابن ظَهِيرة — أو ظُهَيْرة — علم على أسرة مكية من بنى مخزوم ، عرف منها غير واحد من الحفاظ والفقهاء والقضاة والمحدثين فى القرنين التاسع والعاشر للهجرة . وقد ترجم لهم السخاوى فى " الضوء اللامع " ، والسيوطى فى " نظم العقيان " ، والمحبى فى " خلاصة الأثر " . غير أن ابن ظهيرة يذكر فى مقدمته للفضائل الباهرة أن مولده ومنشأه قريب من البلاد المقدسة من أرض الشام ، وأن أصول آبائه الأقدمين من أرض مصر والشام وإن كانت إلى الشام أقرب . وأشهر أبناء ظهيرة :

(١) أبو السعادات جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين بن ظهيرة المخزومى (٧٩٥ — ٨٦١ هـ ، ١٣٩٣ — ١٤٥٧ م) .

(٢) أبو الطيب محب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين (٨٢٥— ٨٨٥ هـ — ١٤٢٢ — ١٤٨٠ م) .

(٣) أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن محمد ... بن عطية بن ظهيرة (٨٢٥— ٨٩١ هـ — ١٤٢٢ —١٤٨٦ م) .

(٤) جار الله جمال الدين محمد بن نور الدين محمد بن أبى اليمن بن أبى بكر بن على ... ابن ظهيرة (المتوفى سنة ٩٨٦ هـ — ١٥٧٨ م) .

(٥) على بن جار الله محمد بن محمد بن أبى اليمن (المتوفى سنة ١٠١٠ هـ — ١٦٠١م) .

وقد اختلف فيمن يكون ابن ظهيرة صاحب الفضائل الباهرة من بين هؤلاء .

فمن قائل : إنه من علماء القرن العاشر للهجرة . و يؤيد هــذا الرأى أن المؤلف انتهى فى ذكر حكام مصر إلى سنة ٩٨٢ هـ ، وهى السنة التى تولى فيها السلطان مراد ، فابن ظهيرة هنا ، إذا ، جارالله جمال الدين محمد بن نورالدين (المتوفى سنة ٩٨٦ هـ) أو ابنه على (المتوفى سنة ١٠١٠ هـ) ، ولكن كيف أوفق بين هــذا وبين تلمذة المؤلف للمقــريزى (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ)، فإنه كلما اقتبس من الخطط المقريزية وصف المقريزى بأنه شيخه ، فتتلمذ ابن ظهيرة للمقريزى لا بدّ أن يكون فى سنة ٨٤٥ هـ أو قبلها، و إذا سلمنا جدلا أن ابن ظهيرة هو جمال الدين محمد بن محمد بن نورالدين بن أبى بكر بن على — كما جاء فى فهرس التاريخ بدار الكتب جـ ٥ ص ٢٨٩ — ،وأنه تتلمذ على المقريزى، حتى فى السنة التى توفى فيها، وأن سن جمال الدين كانت وقتئذ حوالى العشرين،فمعنى هذا أنه عاش ٧٥ سنة فى القرن التاسع،و ٨٦ سنة فى القرن العاشر للهجرة، وهذا غير محتمل عادة . أضف إلى هذا أن مؤلف " الفضائل الباهرة " لم يشر ، من قريب أو بعيــد ، إلى عالم من علماء القرن العاشر للهجرة ، اللهــم إلا الشيخ زكريا الأنصارى (٨٢٣ — ٩٢٦ هـ) فقــد توفى فى القرن العاشر ، و إن كان قد قضى معظم حياته فى القرن التاسع للهجرة . ألا يجوز — إذا — أن يكون مؤلفنا من علماء القرن التاسع،وأن واحدا من أبناء ظهيرة أكمل الجزء الخاص بحكام مصر حتى أوصله إلى السلطان مراد بعــد وفاة ابن ظهيرة المؤلف؟ ويؤيد هذا الاحتمال أنه كتب بهامش نسخة باريس، بخط غير خط النسخة،نبذة عن السلطان محمد الغازى،وابنه السلطان أحمد — هذا ما أرجحه .

و إذا وصلنا إلى أن مؤلف الفضائل الباهرة من علماء القرن التاسع للهجرة فهو إما أن يكون :

(١) أبا السعادات جلال الدين محمــد بن محمــد بن الحسين بن ظهــيرة المخزومى (٧٩٥—٨٦١ هـ) .

أو (٢) أبا الطيب محب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين (٨٢٥— ٨٨٥ هـ) .

أو (٣) أبا اسحاق برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن محمد بن حسين بن على بن عطية ابن ظهيرة (٨٢٥— ٨٩١ هـ) .

فأما أبو السعادات ، فلا يحتمل عادة أن يكون تلميذا للقريزى ، لأن الفرق بين سنتى وفاتهما ١٦ سنة فقط .

وأما الاثنان الآخران فقد اتصلا بالمقريزى فى مكة أو فى القاهرة ، وأجازهما ، وقد ارتحل الثانى منهما إلى مصر مرتين : الأولى فى سنة ٨٥١ هـ ، والثانية فى سنة ٨٥٣ هـ (أى بعد وفاة المقريزى بست سنوات فى الأولى ، وثمان سنوات فى الثانية) (انظر السخاوى : " الضوء اللامع " ج ١ ص ٨٨، ٩٨ وج ٢ ص ١٩١ مطبعة القدسى بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ) كما أنه لازم والد جلال الدين السيوطى (المتوفى سنه ٨٥٥ هـ) بمكة والقاهرة ، وتخرج به فى الفقه والأصول ، وأنه كان يحمل جلال الدين على كتفه وهو صغير (" نظم العقيان " للسيوطى ، المطبعة السورية الأمريكية بنيو يورك ص ١٧) .

ومن هـذا يتضح أن صلة أبى اسحاق بمصر أوثق ، وتأليفه فى تاريخها وخططها أكثر احتمالا ، غير أنى لا أستبعد أن يكون أبو الطيب محب الدين أحمد مؤلف الكتاب .

وأما التاريخ الذى ألفت فيه " الفضائل الباهرة " فقد وردت فى نسخة باريس — فى « فصل ملخص من كلام ابن زولاق » — عبارة يفهم منها أن ابن زولاق توفى سنة ٣٨٩ هـ ، (وأغلب المراجع على أنه توفى سنة ٣٨٧ هـ) ، وأنه مضى على وفاته عند تأليف هذا الكتاب ، أو الفصل الذى وردت فيه هذه العبارة على الأقل ، ٤٨٢ سنة ، وعلى هذا يكون الكتاب أو الفصل قد وضع سنة ٨٧١ هـ .

« والفضائل الباهرة » رتبها مؤلفها على مقدمة وتسعة عشر فصلا وخاتمة ، فى ذكر مبدأ مصر وأول أمرها ، وذكر حدودها ، وذكر ملوكها وحكامها من قبل الطوفان إلى زمن السلطان مراد فى الدولة العثمانية ، وكور مصر (محافظاتها ومراكزها) ، وماورد فى فضل مصر من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، ودعاء الأنبياء لمصر وأهلها ، ووصف العلماء لها ، ومن ولد بها من الأنبياء والحكماء والملوك والعلماء ، وذكر فتوح مصر ، وما بها من ثغور الرباط والمساجد الشريفة ، ووصف من كان بها من العلماء والحكماء وعدة خُلُجها ، وخراجها

فى الجاهلية والإسلام، وما اختصت به مصر من مأكول وملبوس ومشروب، ملخصا من خطط ابن زولاق وتاريخه الكبير، وعجائب مصر وغرائبها، وذكر مقاييسها، وذكر القاهرة بالخصوص، وذكر محاسن مصر الكلية الجامعة، وذكر ما اختصت به مصر والقاهرة .

أما الأصول التى اعتمدنا عليها فى تحقيق هذا الكتاب فهى :

(١) نسخة خطية بقلم معتاد كتبت سنة ١١١٤ هـ ، وأوراقها ٨٣ ورقة من القطع الصغير ، ورقمها بدار الكتب ١٤٦٠ تاريخ .

(٢) نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة خطية بمكتبة رفاعة بسوهاج ، مكتوبة سنة ١١١٨ هـ ، وبها ١٠١ لوحة ، كل لوحة ذات شطرين ، ورقم الصورة بدار الكتب ٥٥٦٠ تاريخ .

(٣) ميكروفيلم للنسخة الخطية بالمكتبة الوطنية بباريس ، فى ١٤٨ لوحة ، كل لوحة غالبا ذات شطرين ، وعلى صفحة العنوان تمليكان : أحدهما باسم مصطفى ابن محمد المشهور بنوزدق زاده بتاريخ ١٧ شعبان المعظم يوم الجمعة سنة ١٠٦١هـ، والثانى باسم الفقير إبراهيم كتخدا الأستاذ الأعظم البكرى ، ورقمه بدار الكتب ٣١٥٢ ميكروفيلم .

(٤) نسخة رابعة بخط عبد الوهاب محمد زرنبة ، نقلها عن نسخة سوهاج الخطية سنة ١٣٥٤ هـ ، ورقمها ٥٥٨٣ تاريخ .

أما نسخة سوهاج فهى أكمل النسخ وأقربها إلى الصحة برغم أنها ليست أقدمها ، ولذلك اعتبرناها أصلا ، ورمزنا لها بالحرف (ا) .

وأما نسخة دار الكتب الخطية فتكاد تكون ملخصا لكل من نسختى سوهاج وباريس ، وإن كانت تلى نسخة سوهاج فى الصحة ، ولهذا رمزنا لها بالحرف (ب) .

وأما نسخة باريس فبرغم أنها أعانتنا فى حل الكثير من المشاكل التى صادفتنا فى التحقيق ، وأضافت أجزاء هامة ساقطة من (ا) و (ب) ، وأنها أقدم النسخ التى بين أيدينا — برغم كل هذا فإنها أقل النسخ من ناحية الصحة وأكثرها تكرارا ، لهذا رمزنا لها بالحرف (جـ)

وتتفق (ا) و (جـ) فى مقدار الفصول وترتيبها ، أما (ب) فقد ضمت فصل " عجائب مصر وغرائبها " (من لوحة ٦٦ حتى لوحة ٨٢ فى ا) إلى فصل "من ولد بمصر" (من ورقة ٣١ حتى ورقة ٤٨ فى ب) ، كما وضعت " فصـل فى ذكر المقاييس " بين فصلى " من ولد بمصر " و " فتـوح مصر " ؛ وهو فى (ا) و (جـ) بين فصـلى " عجائب مصر وغرائبها " و " ذكر القاهرة بالخصوص " . وقد وضعنا ما فى (ا ، جـ) من زيادات عن (ب) بين قوسين مستديرين .

وابن ظهـيرة يقتبس فى كتابه من كلام من تقـدموه من رواد الخطط المصرية وتاريخ مصر الإسلامية كابن عبد الحكم (المتوفى سنة ٢٥٧هـ)، ومحمد بن يوسف الكندى(المتوفى سنة ٣٥٠ هـ) ، وابن زولاق (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ) ، والقضاعى (المتوفى سنة ٤٥٤ هـ)، وخاصة شيخه تقى الدين المقريزى (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ) .

وقد رجعنا فى تحقيقنا إلى جميع الموجود من كتب هؤلاء : " فتـوح مصر وأخبارها " لابن عبد الحكم ،"ولاة مصر وقضاتها وفضائلها" للكندى ،و"فضائل مصر" لابن زولاق ، و " المواعظ والاعتبار " للمقريزى ، بالإضافة إلى الكثير من كتب التراجم ومعاجم البلدان واللغة العربية ، وخاصة "لسان العرب" لابن منظور و "تاج العروس" للزبيدى .

ولم يفتنا أن نرجع كذلك إلى بعض المعاصرين للمؤلف ومن برزوا بعده من كتّاب الخطط المصرية وتاريخ مصر الإسلامية ، كالسيوطى فى "حسن المحاضرة"، وعلى مبارك فى " الخطط التوفيقية " ، ومحمد رمزى فى " القاموس الجغرافى " .

"والفضائل الباهرة" تعتبر بمثابة مختصر لخطط المقريزى إذا استثنينا الفصلين الأخيرين منهـا ، فإنهما من ابتكار مؤلفهـا ، ونعنى بهما " ذكر محاسـن مصر الكلية الجامعـة " و " ذكر ما اختصت به مصر والقـاهرة " ، غير أن الأهميـة البالغة لهـذا الكتاب تبـدو فى الاقتباسات العديدة التى استقاها من مراجع لا أثر لهـا فى الوجـود الآن ، وذلك كخطط الكندى ، " وتاريخ مصر الكبير "، " وخطط مصر " وكلاهما لابن زولاق ، و " خطط مصر " للقضاعى ، وغيرها .

ولقد جرى ابن ظهيرة فى كتابه على عادة المكيين من إهمال الهمزة فى الرسم ، فهو يهملها إن كانت مفردة ، وإن كانت على واو أو ياء رسمت الواو أو الياء مجردة من الهمزة .

وبعـــد :

فنرجو أن نكون قد وفقنا بعض التوفيق فى إنجاز أول كتاب لمركز تحقيق التراث القومى ونشره . ولا يفوتنى أن أشكر من عاوننا من طلاب المركز المذكور فى البحث أثناء التحقيق .

ولقد كان المتفق عليــه أن يقوم بكتابة هــذه المقدمة صديق الشــباب أخى وشريكى فى تحقيق هذا الكتاب المرحوم الأستاذ مصطفى السقا ، ولكن المنية عاجلته ، فحرمتنا تتويج هــذا الكتاب بأسلوبه الرصين وفكره الثــاقب ، ولقد كان لى من توجيهاته النـيرة وتجاربه الواسعة وعلمه الغزير خير هاد فى تغلبى على العديد من الصعاب أثناء التحقيق .

تغمد الله فقيدنا العظيم بواسع رحمته ، وألهمنا جميعا فى فقده الصبر .

كامل المهندس
(مارس ١٩٦٩)

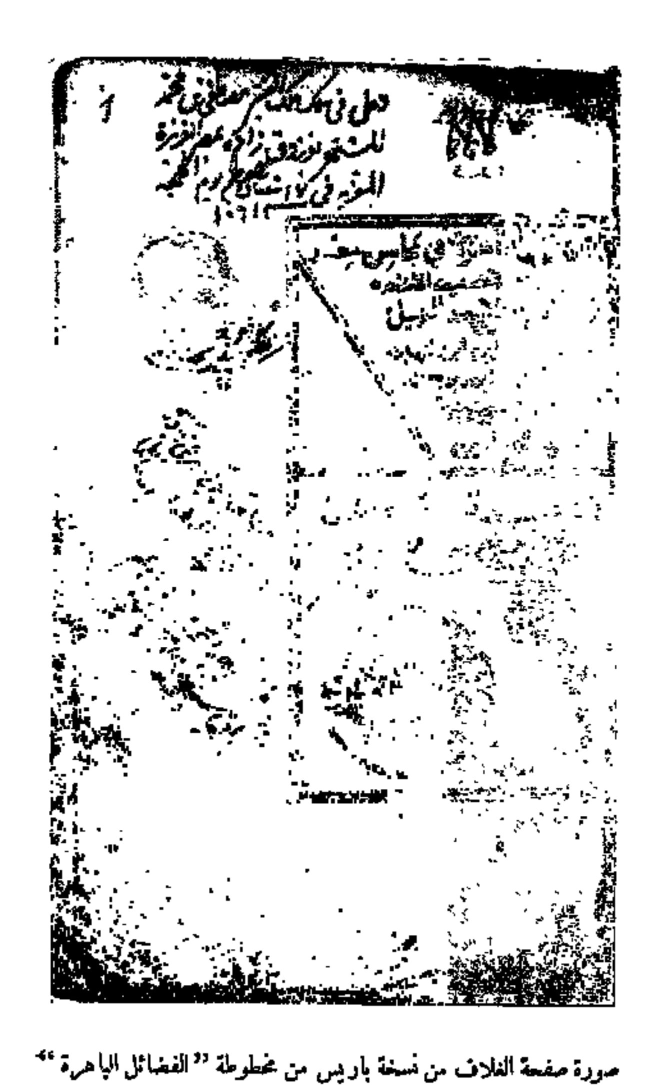
المراجـــع والرموز

الرمز

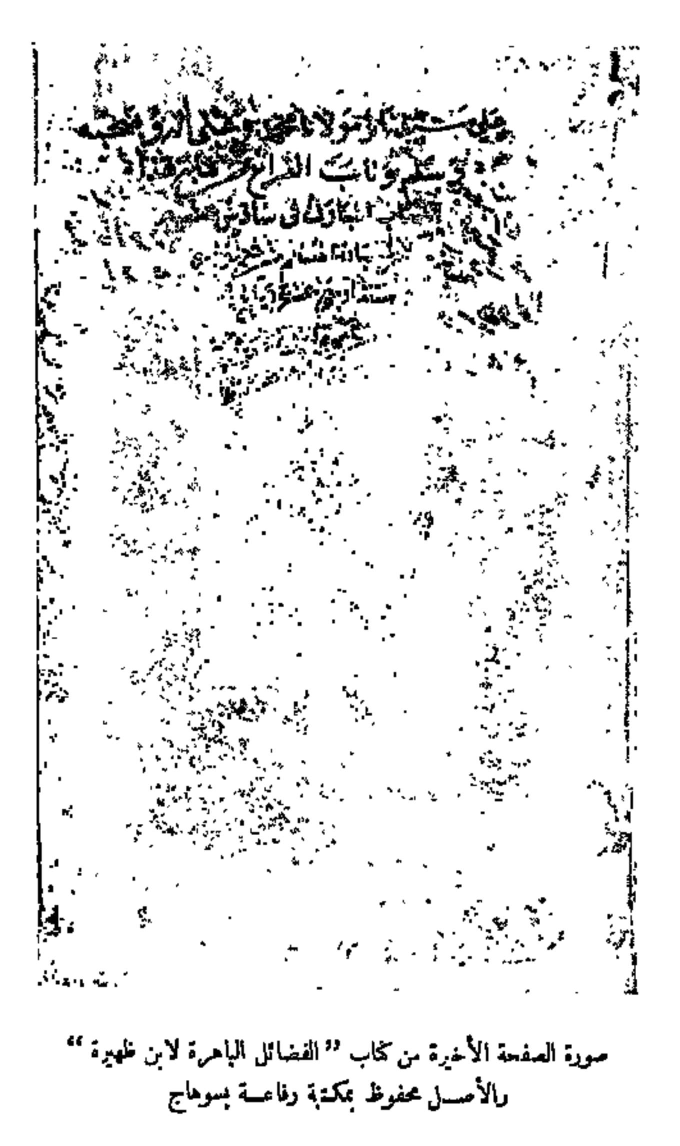
المرجع	الرمز
أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ــ للاسحاقى، طبعة مصطفى البابى الحلبى (١٣١٠ هـ)	ح
الاستيعاب فى معـرفة الأصحاب ــ لابن عبد البر، أربعة أقسام فى أربعة مجلدات طبعـة (١٩٦٦)	ر
الإصابة لابن حجر : ثمانية مجلدات ١،٢ مطبعة السعادة ٣،ــ٨ الشرفية سنة ١٩٠٧	إص
الأعلام للزركلى (طبعة ثانية) ــ عشرة مجلدات	ع
تاج العروس للزبيدى	ت
الجامع الصغير للسيوطى، طبع دار الكتب العربية الكبرى سنة ١٣٣٠ هـ	سج
حسن المحاضرة للسيوطى ــ المطبعة الشرفية جزءان فى مجلد	سح
حلبة الكميت للنواجى مطبعة إدارة الوطن سنة ١٢٩٩ هـ...	حل
خريدة القصر للعماد الأصفهانى ــ لجنة التأليف والترجمة والنشر جزءان ١ــ٢ (١٩٥١)	خر
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للخزرجى ــ طبع بولاق سنة ١٣٠١ هـ	خز
الدرر الكامنة لابن حجر خمسة مجلدات، طبع دار الكتب العربية الحديثة سنة ١٩٦٦	د ر
صبح الأعشى للقلقشندى	صب
صحيح مسلم ــ مطبعة عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٥٥ ــ خمسة مجلدات	م
الطالع السعيد للادفوى ــ المطبعة الجمالية ١٩١٤	ف
الطبقات الكبرى لابن سعد ــ ثمانية مجلدات طبع دار صادر بيروت ١٩٥٧ــ١٩٦٠	ط
فتوح مصر وأخبارها ــ لابن عبد الحكم طبع ليدن ١٩٢٠	ك
فضائل مصر وأخبارها وخواصها ــ لابن زولاق خـط بدار الكتب تحت رقم ٣٥٩١ تاريخ	زو
فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (مجلدان)	فو

	الرمز
القاموس الجغرافى لمحمد رمزى قسمان فى خمسة مجلدات — دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٣ — ١٩٦٣	ق
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى للمستشرق زامباور — مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١	ز
معجم البلدان — لياقوت — ستة مجلدات طبع طهران سنة ١٩٦٥	ب
المواعظ والاعتبار (الخطط) — للمقريزى مجلدان طبع بلاق سنة ١٢٧٠ هـ .	خ
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى طبع دار الكتب المصرية	ن
الوافى بالوفيات — للصفدى — الثلاثة الأولى طبع والباقى مصور	واف
وفيات الأعيان لابن خلكان (١ — ٦) مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨	و
ولاة مصر — للكندى — طبع بيروت ١٩٥٩	ل

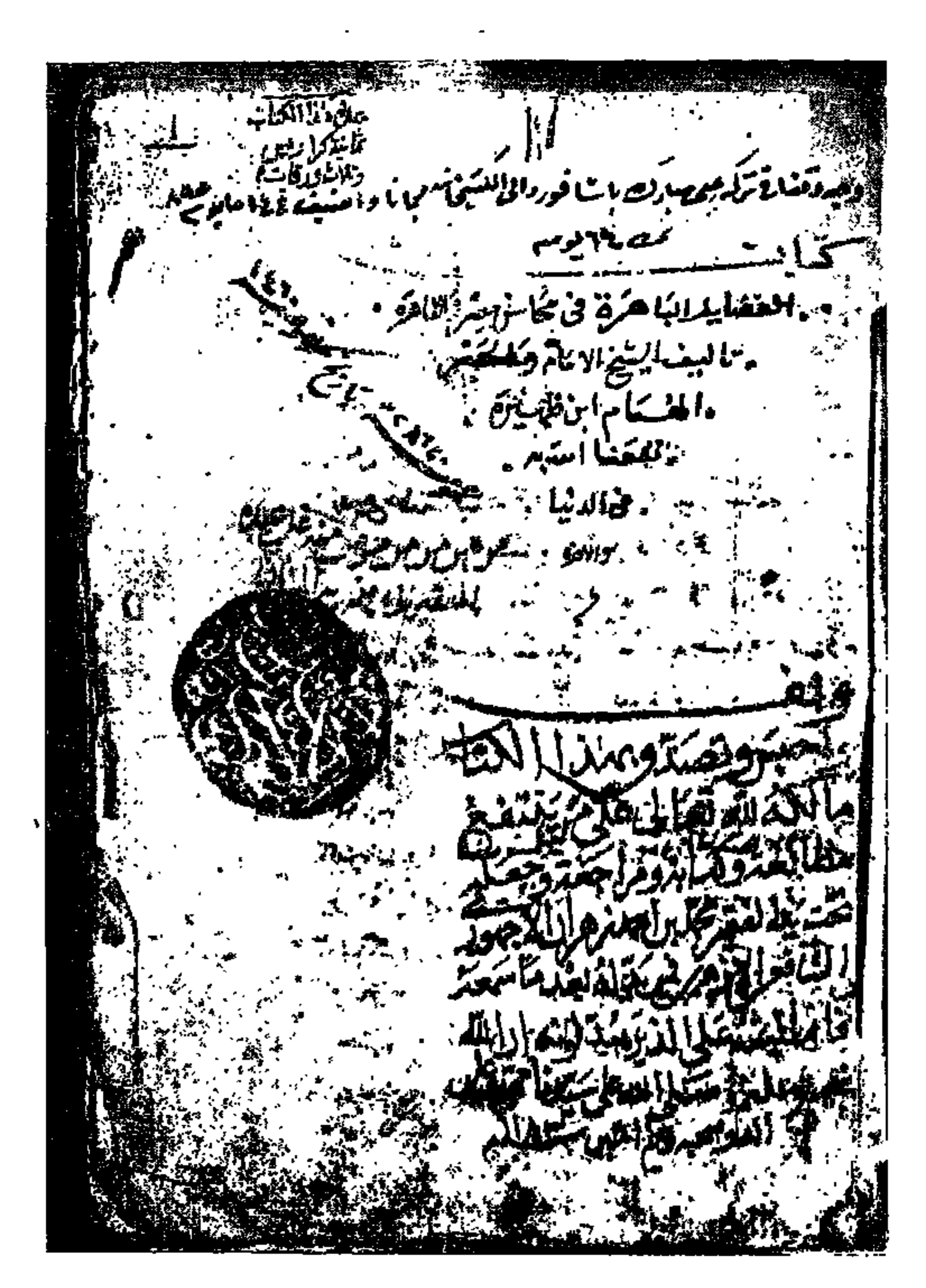
فصـــول الكتاب



صورة صفحة الغلاف من نسخة باريس من مخطوطة "الفضائل الباهرة"



صورة الصفحة الأخيرة من كتاب "الفضائل الباهرة لابن ظهيرة"
والأصل محفوظ بمكتبة رفاعة بسوهاج



صورة لصفحة العنوان من مخطوطة دار الكتب المصرية لكتاب
" الفضائل الباهرة لابن ظهيرة " المكتوبة سنة ١١١٤ هـ .